

وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

آية في كتاب الله جمعت أصول الثبوت وجميع الكمالات

خطبة ألقاها

الشيخ ذو سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله عز وجل قد خلق آدم ﷺ من تراب، وخلق من ضلعه حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، فجعل الإنسان من زوجين - من ذكر وأنثى -.

وقد أمر الله عز وجل الذكر والأنثى بطاعته، فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فشأن المؤمن وشأن المؤمنة - يا عباد الله - أنه إذا سمع أمر الله الملزم، وسمع أمر رسول الله ﷺ الملزم، وسمع النهي الجازم في كتاب الله، أو في سنة رسول الله ﷺ، أنه لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى به ربه، أو قضى به رسوله ﷺ، ولا يقف محتاراً، ولا يقف ليختار، وإنما يُسلم تسليمًا، ويطيع الله عز وجل، ويطيع رسول الله ﷺ.

فإذا فعل ذلك فهو المهتدي، أما من يعصي الله ورسوله فذاك الذي ضلّ ضلالاً بعيداً، وضلّ ضلالاً مبيناً، لا لبس فيه ولا شك ولا ريب.

وإن ربنا - يا عباد الله - قد ذكر الرجال والنساء في آية عظيمة من كتابه الكريم، جمع فيها أصول الخيرات، ومجامع الكمالات، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالمتمسكون بما ذكر ربنا في هذه الآية من الرجال والنساء هم أهل الاستقامة، والحياة الطيبة، والمغفرة العظيمة، والأجر الكريم، الذي لا يقدر قدره إلا الله ﷻ.

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: المسلم - يا عباد الله - من أتى بالشهادتين، فقد دخل في الإسلام - ذكراً كان أو أنثى -.

ولإسلامه مع الشهادتين أركان عظام، وأعمال ظاهرة، يحرص على الإتيان بها، فأركانه مع الشهادتين: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وتتبع هذه الأركان أعمالاً ظاهرة يحرص المسلم على أن يأتي بها، ليكون في أعلى مراتب الإسلام - ذكراً كان أو أنثى -.

﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: الإيمان إذا ذكر مع الإسلام فهو الأعمال الباطنة، فهذا - إذا كان رجلاً أو كان أنثى - إذا جمع بين الإسلام والإيمان، فاستنار باطنه بما شرع ربه من الأعمال الباطنة، والتصديقات اللازمة، وصلح ظاهره بالأعمال الظاهرة، فقد حقق هاتين المرتبتين - الإسلام والإيمان -.

﴿ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: والقانت - يا عباد الله - هو المطيع لله ﷻ المداوم على الطاعة، الذي كلما فرغ من طاعة طلب طاعة أخرى، رجاء ما عند الله، وخوفاً من عذاب الله، مع محبة الله ﷻ، كما قال ربنا: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩].

﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: أي أنهم - يا عباد الله - صادقون في أقوالهم وأفعالهم، وهن صادقات في أقوالهن وأفعالهن، وقد أفلح وأنجح من كان من الصادقين، وكان مع الصادقين، ﴿ يَتَأَيَّهَا ﴾

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١١٩].

ومن الصدق - يا عباد الله - عند الرجال والنساء: أداء الأمانات، وحفظ العهود والوعود، قال النبي ﷺ: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة»، ما أعظمه من عهد - يا عباد الله -! فهل من مشترٍ الضمان من رسول الله ﷺ بالجنة لمن ضمن هذه الست، «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتّمتتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم».

﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]:

- إهم - يا عباد الله - رجال صابرون ونساء صابرات على طاعة الله ﷻ، فهم يبحثون عن طاعة الله ﷻ، لا تُغيّرهم عن طاعة الله الحوادث، ولا يتقلّبون بتقلّب الناس، وإنما يلزمون ما أراد رب الناس ﷻ.
- وهم صابرون وهنّ صابرات عن معصية الله ﷻ، لا يستخفّنهم إلى المعاصي أن الناس يفعلون المعاصي، وإنما يصبرون عن المعاصي، لأنهم يخافون من الله ﷻ.
- وهم صابرون وهنّ صابرات على ابتلاء الله ﷻ لهم وهنّ.

فأولئك هم الفائزون.

﴿ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: المتذلّلون لله ﷻ والمتذلّلات لله ﷻ، امتلأت قلوبهم وامتلأت قلوبهنّ خوفاً من الله ﷻ، فسكنت قلوبهم وخضعت، وذلت لربهم، وسكنت جوارحهم عند صلاتهم لربهم ﷻ.

﴿ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: فهم رجال باذلون لأموالهم، فيما وجب فيها، وما هو نافلة فيها، فشأنهم أنهم يتصدقون بأموالهم، وجوباً في إخراج الزكاة، وتنفلاً وتطوعاً فيما زاد على ذلك، وكذا المرأة، شأنها أنها تتصدق لله ﷻ.

﴿ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: فهم -يا عباد الله- حريصون على الصيام -فرضاً ونفلاً-، وهنّ حريصات على الصوم -فرضاً ونفلاً-، ولا تتنفل إحداهنّ بالصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه.

والصوم -يا عباد الله- تظهر فيه حقيقة التقوى، ولا عدل له من الأعمال.

﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: فالرجل -يا عباد الله- يحفظ فرجه من كل شيء حتى يتزوج، أو يملك ملك اليمين حال وجودها، فإذا تزوج كان أشدّ حفظاً لفرجه، والمرأة تحفظ فرجها من كل شيء حتى تتزوج، فإذا تزوجت كانت أشدّ حفظاً لفرجها، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

وحفظ الفرج للذكر والأنثى طريق إلى الجنة، قال النبي ﷺ: «ألا من حفظ فرجه فله الجنة» -ألا من حفظ فرجه فله الجنة-، هكذا قال النبي ﷺ.

وتضييع حفظ الفرج من أعظم أسباب دخول النار، يقول النبي ﷺ: «أكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج».

والفرج -يا عباد الله- له حمى لا بد من حفظه، فمن حفظ حِمَاهِ حَمَىٰ فرجه، ومن فرط في الحمى أوشك أن يُفَرِّطَ في حفظ فرجه.

فمن حمى الفرج: الحياء -يا عباد الله-، ولا يزال الإنسان -ذكراً كان أو أنثى- في خيرٍ ما كان خلقه الحياء، فإذا ضييع الحياء كان أهلاً لكل شر، قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تسحي فافعل ما شئت».

ومن حمى الفرج: البصر، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُونَ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٣﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٤﴾ [النور: ٣٠-٣١].

ومن حمى الفرج للمرأة: أن تبقى في بيتها، وتُقلّل خروجها، إلا لأمر لا بد منه، أو ما فيه مصلحة ظاهرة، أو كان مباحاً لا مفسدة فيه، قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وإن من الحمى الذي ينبغي أن نذكر به في هذا الزمان: أن يتعد الإنسان عن محادثة النساء الأجنبية في وسائل التواصل الاجتماعي - ولو كان القصد حسناً-، فإن الشيطان يأخذ الإنسان إلى الحرام خطوةً خطوةً.

فمن حمى هذا الحمى حمى فرجه إن شاء الله عز وجل، ومن تساهل في هذا الحمى أوشك الشيطان أن يوقعه في الزنا الأكبر - والعياذ بالله-.

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: ذكر الله يحبه المؤمن، وتحبه المؤمنة، لأنهما يجبان الله، ويجبان ما يحبه الله، ويجبان أن يكون الله معهما، وقد قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».

والذاكرون الله كثيراً والذاكرات هم السابقون لغيرهم، قال النبي ﷺ: «سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات».

فمعاشر المؤمنين والمؤمنات: عليكم بمعرفة هذه الآية، وتدبر معانيها، والحرص على أن تكونوا من أهلها، لتكونوا من المفلحين، وعلموا أولادكم وعلموا بناتكم هذه الآية، وفقهوهم فيها، فما أحوجنا إلى أن نقرأها، ونكررها، ونفقهها، ونعلمها، ونعمل بها في هذا الزمان، الذي كثرت فيه دواعي الشر، وقلّ المناصرون على الخير!

فينبغي علينا -يا عباد الله- أن نلجأ إلى خير حمى -إلى كتاب ربنا ﷻ-، نقرؤه، ونتدبره، ونفهمه، ونتمسك به، ونأخذ بسنة نبينا ﷺ.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن المرأة المؤمنة إذا جاءت بما ذكر الله في الآية فقد استكملت الخير، فإن كانت مع ذلك محافظةً على الصلاة المفروضة، والصوم المفروض، وحفظ فرجها، وطاعة زوجها، مع عدم ترك واجب، ولا فعل محرّم، فهي على صراط مستقيم إلى الجنة، ووجدت حلاوة الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»، وقال ﷺ: «لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها».

وكلما زادت المرأة مما ذكر الله في الآية ازداد إيمانها، وعظمت درجتها، وحسنت استقامتها، وطابت حياتها، وكانت من أهل المفاز عند لقاء ربها.

فيا أيتها المرأة المؤمنة -يا أيتها المرأة المؤمنة-، اعلمي أن الله كرمك، وأن خيرك كله إنما هو في طاعة الله، وطاعة رسول الله ﷺ، فلا يستفزتك الشياطين -شياطين الإنس والجن-، والزمي دين الله ﷻ لتفلحي، فإن الحرية كلها -الحرية المباركة- هي التي أعطها الله ﷻ لك، وما زاد على ذلك فهو -والله- عبودية لأهل الشر من الإنس والجن، وإن الكرامة هي التي جعلها الله ﷻ لك، ولا كرامة لك في أن تخالفي شرع الله ﷻ، بل ذاك -والله- هو الذلة والامتهان.

فيا أيتها المرأة المسلمة -يا أيتها المرأة المسلمة-، الزمي دين الله ﷻ، ولا تخرجي مع الذين يخرجون في منندياتٍ وأماكن لا يتحقق فيها الخير، بل هي أقرب إلى الشر -إن لم تكن شرّاً محضاً والعياذ بالله-.

ويا أولياء النساء، إنكم مسؤولون عن نساءكم يوم القيامة عند لقاء ربكم، فقوموا بما أوجب الله عليكم، لعلكم تسلمون وتفلحون.

ثم اعلموا - عباد الله - أن الله ﷻ أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى بملائكته، فقال - عز من قائل -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صَلَّى عليّ من أمي صلاةً مخلصاً فيها» - أو قال: «من قلبه» - «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ».

فأكرموا - عباد الله - أنفسكم بكثرة الصلاة والسلام على نبيكم ﷺ.

فاللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ عَنَّا معهم بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم، اللهم اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين.

اللهم يا ربنا، اللهم يا ربنا، إنا أسرفنا على أنفسنا في أيامنا الماضية، وتحمّلنا الذنوب، وأسرفنا وأسرفنا وأسرفنا، وأنت يا ربنا غفور رحيم، اللهم فاغفر لنا أجمعين، اللهم فاغفر لنا أجمعين، اللهم فاغفر لنا أجمعين، واجعل أيامنا القادمة خيراً لنا يا رب العالمين، اللهم اجعلنا بها قرييين منك يا رب العالمين، اللهم اجعلنا فيها قرييين منك يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك من غضبك وعذابك ومن شر عبادك، اللهم إنا نعوذ بك من غضبك وعذابك ومن شر عبادك، اللهم إنا نعوذ بك من غضبك وعذابك ومن شر عبادك.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة الحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا.

اللهم إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهم فارحمنا أجمعين، وأمنا أجمعين من عذابك يا رب العالمين.

اللهم يا ربنا، كما جمعتنا في هذه الصلاة، في هذا المسجد، اجمعنا جميعاً ووالدينا وأهلينا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهم لا تجعلنا نفقد أحداً، اللهم لا تجعلنا نفقد أحداً، ولا تجعلنا مفقودين في الجنة يا رب العالمين، ولا تجعلنا مفقودين في الجنة يا رب العالمين.

اللهم أحيينا حياة طيبة، واجعلنا من أهل المقاز العظيم، واجعلنا ممن أمنتهم يوم القيامة يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.